بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

قال الله تبارك وتعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}**[1].

لقد تحدثَ القرآنُ الكريم في مطلع سورة البقرة عن فئتين متقابلتين مِن الناس وهما: المتقون والكافرون.

أمّا الفئةُ الأُولى: فقد قال عنها تبارك وتعالى: **{الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[2].

وأمّا الفئةُ الثانية: فقد قال عنها تبارك وتعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}**[3].

والحديثُ عن الآية المباركة المتضمنة لوصف الفئة الثانية في عدّة مطالب:

المطلبُ الأوّل: في الفرق بين الإنذار والهداية.

إنّ الآيات المباركات عندما تحدثتْ عن المتقين وصفتهم بالهداية بقوله تعالى: **{هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}**، وعندما تحدثتْ عن الكافرين نَفتْ عنهم الإنذار بقوله تعالى: **{سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}** ولَمْ تَنْفِ عنهم الهداية، أي: لَمْ تقل: سواء عليهم هديتهم أم لَمْ تهدهم لا يؤمنون.

فما هو الفرق بين الإنذار والهداية؟

إنّ تحديد الفرق بين الإنذار والهداية بنحوين:

الأوّل: الفرق مفهومي، **والثاني**: الفرق المصداقي.

---

[1] سورة البقرة، 6 – 7.

[2] سورة البقرة، 1 – 5.

[3] سورة البقرة، 6.

أمّا الفرقُ المفهومي:

فإنّ الإنذار هو عبارةٌ عن الشدّة في الخطاب بعنوان الردع أو الحث المتضمن للتخويف مِن العواقب، وقد ورد في القرآن الكريم في هذا السياق في عدّةٍ مِن الموارد:

1 – قول الله تبارك وتعالى: **{وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}**[4].

2 – وقوله سبحانه وتعالى: **{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ}**[5].

وأما الهداية فهي عبارةٌ عن لطفٍ في الخطاب المتضمن للإرشاد إلى الطريق أو الإيصال إلى المطلوب.

وكلاهما – أي: الإنذار والهداية – مِن أدوار الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) حيثُ قال تبارك وتعالى في وصفه: **{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ}**[6]، وقوله تبارك وتعالى: **{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}**[7]، ومقتضى ذلك أنّ الإنذار متقدمٌ رُتبةً على الهداية، فإنّ الإنذار حيثُ يتضمن الحث المستبطن للتخويف مِن العواقب أو الردع المستبطن للتخويف مِن العواقب فهو في مرحلة إيقاظ الفطرة وإثارة الوجدان والتنبيه على ما ينبغي أنْ يكون عليه حالُ الإنسان، فإذا كان في الطرف المخاطَب استعدادُ القبول أو التفاعل كان ذلكَ مُوجباً للانتقال مِن مرحلةِ الإنذار إلى مرحلةِ الهداية بلطف الخطاب وإضاءة القلب سواءً كان بإرشاده إلى الطريق أو بالأخذ بيده وإيصاله إلى المطلوب.

فالآيةُ المباركةُ الأُولى التي وصفت المتقين بأنّهم موطن الهداية بقوله تعالى: **{هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}** بلحاظ استجماعهم لشرائط الهداية واستعدادهم للاستضاءة بنورِ الهُدى، بينما الآية الأُخرى التي وصفت الكافرين المعاندين الذين قد فقدوا الاستعداد لقبول الحقّ والاستماع إليه بلحاظ أنّهم فاقدون لأهلية المرحلةِ الأُولى وهي مرحلة الإنذار فضلاً عن المرحلة الثانية وهي مرحلة الهداية.

---

[4] سورة الشعراء، 214.

[5] سورة المدثر، 1 – 2.

[6] سورة الشعراء، 193 – 194.

[7] سورة الشورى، 52.

واختلاف أدوار النبيِّ الأعظم (صلى الله عليه وآله)؛ حيثُ كان تارةً في مقام الإنذار وأُخرى في مقامِ الهداية باختلافِ الظرف، واختلافِ الطرف المتلقي للخطاب، فإذا كان ممن له اقتضاء التفاعل والانقياد، أي: كان ممن يمتلك أصل الاستعداد للتخويف كان مؤهلاً للإنذار كما في قوله تعالى: **{إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا}**[8]، وإنْ كان يمتلك القابلية للإنذار ولكنه مبتلى بمانعٍ مِن تطور استقبال عقله وقلبه لنور الهداية فيبقى في المرحلة الأولى مِن دون تغيير، وهو ما أشير إليه في قوله تعالى: **{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}**[9]، وإنْ كان ممن يمتلك الاستعداد التام لاستقبال نور الهدى كان حقيقاً بخطاب الهداية كما في قوله تعالى: **{وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ}**[10].

وأمّا مَن فَقَدَ الاستعداد حتى بنحو الاقتضاء؛ فليس مورداً للإنذار فضلاً عن الهداية وهو مَن أُشير إليه في عدّة مِن الآيات، منها:

1–قوله تبارك وتعالى: **{سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}**[11].

2–وقوله تعالى ذكره: **{وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}**[12].

3–وقوله عزّ وجلّ: **{إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ}**[13].

وأمّا الفرقُ المصداقي:

فهو عبارةٌ عن اختلاف الموقع المشار إليه بقوله عزّ وجلّ: **{إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}**[14].

---

[8] سورة النازعات، 45.

[9] سورة القصص، 56.

[10] سورة النحل، 89.

[11] سورة البقرة، 6.

[12] سورة يونس، 10.

[13] سورة يس، 11.

[14] سورة الرعد، 7.

فإنّه ليس المقصودُ مِن الآية المباركة نفي دور الهداية عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وحصر دوره (صلى الله عليه وآله) في الإنذار؛ بقرينة أنّ القرآن الكريم قد أثبتَ دور الهداية إليه (صلى الله عليه وآله) كما تقدم في قوله عزّ وجلّ: **{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}**[15].

وإنّما المقصود الإشارة إلى اختلاف المرحلة؛ حيثُ مرت المسيرة الإلهية بمرحلتين:

المرحلة الأُولى: مرحلة التأسيس. **والمرحلة الثانية**: مرحلة البناء والتقويم.

فالمرحلةُ الأُولى هي التي تكفل بها النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) كما أُشير إليه في قول الله عزّ وجلّ: **{لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ}**[16].

والمرحلةُ الثانية هي التي تكفل بها الأئمةُ الطاهرون (صلوات الله عليهم أجمعين) وهي المعبر عنها بالهداية؛ كما أفصحت الرواياتُ الشريفة عن اختلاف المرحلة الذي اقتضى اختلاف نوع الدور القيادي للمجتمع الإيماني كما في صحيحة بُرَيْدٍ العِجْلِيِّ ومعتبرة عبدالرحيم القصير.

أمّا صحيحة بُرَيْد فهي كما في الكافي: **(عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) الْمُنْذِرُ، وَلِكُلِّ زَمَانٍ مِنَّا هَادٍ يَهْدِيهِمْ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثُمَّ الْهُدَاةُ مِنْ بَعْدِهِ عَلِيٌّ، ثُمَّ الْأَوْصِيَاءُ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ)**[17].

وأمّا معتبرة عبدالرحيم القصير فهي كما في الكافي: **(مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ صَفْوَانَ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ عَبْدِالرَّحِيمِ الْقَصِيرِ: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عليه السلام) فِي قَوْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ) فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) الْمُنْذِرُ، وَعَلِيٌّ الْهَادِي، أَمَا وَاللهِ، مَا ذَهَبَتْ مِنَّا، وَمَا زَالَتْ فِينَا إِلَى السَّاعَةِ)**[18].

---

[15] سورة الشورى، 52.

[16] سورة يونس، 6.

[17] الكافي، للشيخ الكليني، دار الحديث، ج1، كتاب الحجة، الباب 10 باب أنَّ الأئمة (عليهم السلام) هُمُ الهُدَاة، ح2.

[18] المصدر السابق، ح4.

وهو ما أورده الفخر الرازي في تفسيره عن ابن عباس حيثُ قال: (قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا): وَضَعَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَقَالَ: أَنَا الْمُنْذِرُ، ثُمَّ أَوْمَأَ إِلَى مَنْكِبِ عَلِيٍّ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) [عليه السلام] وَقَالَ: أَنْتَ الْهَادِي يَا عَلِيُّ بِكَ يَهْتَدِي المهتدون من بعدي)[19].

وهذا ما ورد عن أبي عبدالله (عليه السلام)، كما في الكافي: (وَبِإِسْنَادِهِ، عَنِ الْمِنْقَرِيِّ، عَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ: عَنْ أَبِي عَبْدِالله (عليه السلام) قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ أَبِي (صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ) عَنْ حُرُوبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه‌السلام وَكَانَ السَّائِلُ مِنْ مُحِبِّينَا، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ (عليه السلام) - في حديث طويل – إلى أنْ قال: (وَأَمَّا السَّيْفُ الْمَكْفُوفُ، فَسَيْفٌ عَلَى أَهْلِ الْبَغْيِ وَالتَّأْوِيلِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ الله)[20] فَلَمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الْآيَةُ، قَالَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقَاتِلُ بَعْدِي عَلَى التَّأْوِيلِ، كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى التَّنْزِيلِ، فَسُئِلَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وآله وسلم): مَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: خَاصِفُ النَّعْلِ يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عليه‌السلام)، فَقَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ: قَاتَلْتُ بِهذِهِ الرَّايَةِ مَعَ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثَلَاثاً، وَهذِهِ الرَّابِعَةُ، وَالله لَوْ ضَرَبُونَا حَتّى يَبْلُغُوا بِنَا السَّعَفَاتِ مِنْ هَجَرَ، لَعَلِمْنَا أَنَّا عَلَى الْحَقِّ، وَأَنَّهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ، وَكَانَتِ السِّيرَةُ فِيهِمْ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) مَا كَانَ مِنْ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فِي أَهْلِ مَكَّةَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَسْبِ لَهُمْ ذُرِّيَّةً، وَقَالَ مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَكَذلِكَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِ) يَوْمَ الْبَصْرَةِ نَادى فِيهِمْ: لَاتَسْبُوا لَهُمْ ذُرِّيَّةً، وَلَا تُجْهِزُوا عَلى جَرِيحٍ، وَلَا تَتْبَعُوا مُدْبِراً، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَلْقى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ ...ألخ)[21].

المطلبُ الثاني: في تحديد مفهوم الكفر وبيان مراتبه.

مفهوم الكفر لغةً: قال الراغب الأصفهاني في مفرداته: (الكُفْرُ في اللّغة: ستر الشيء، ووصف الليل بِالْكَافِرِ لستره الأشخاص، والزّرّاع لستره البذر في الأرض)[22].

---

19 التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، فخر الدين الرازي، ج19، ص14.

20 سورة الحجرات، 9.

21 الكافي، للشيخ الكليني، دار الحديث، ج9، كتاب الجهاد، الباب 3 باب وجوه الجهاد، ح2.

22 المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم، ج1، ص714.

وقال ابن فارس في مقائيس اللغة: ((كَفَرَ) الْكَافُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ السَّتْرُ وَالتَّغْطِيَةُ. يُقَالُ لِمَنْ غَطَّى دِرْعَهُ بِثَوْبٍ: قَدْ كَفَرَ دِرْعَهُ. وَالْمُكَفِّرُ: الرَّجُلُ الْمُتَغَطِّي بِسِلَاحِهِ. فَأَمَّا قَوْلُهُ:

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ .. وَأَجَنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا

فَيُقَالُ: إِنَّ الْكَافِرَ: مَغِيبُ الشَّمْسِ. وَيُقَالُ: بَلِ الْكَافِرُ: الْبَحْرُ)[23].

والكفر اصطلاحاً: هو ستر الحقّ اعتقاداً بأنْ يرفض قلبه ما يؤمن بِهِ عقله مِن الحق أو يأبى الانسياق إلى فطرته التي تدعوا للإيمان بالحقّ، أو لساناً بأنْ يظهر بلسانه الباطل مع اعتقاده بالحقّ، أو عملاً بأنْ يستن بسنن أهل الباطل أو يكون في مقام تأييدهم، وهذا بخلاف الإيمان الذي لا يكفي فيه صفةٌ مِن هذه الصفات، بل هو عبارةٌ عن مجموعها؛ حيثُ ورد في الرواية كما في الكافي: (عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مَعْرُوفٍ، عَنْ عَبْدِالرَّحْمنِ بْنِ أَبِي نَجْرَانَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِالرَّحِيمِ الْقَصِيرِ، قَالَ:

كَتَبْتُ مَعَ عَبْدِالْمَلِكِ بْنِ أَعْيَنَ إِلى أَبِي عَبْدِالله (عليه السلام) أَسْأَلُهُ عَنِ الْإِيمَانِ: مَا هُوَ؟

فَكَتَبَ إِلَيَّ مَعَ عَبْدِالْمَلِكِ بْنِ أَعْيَنَ: سَأَلْتَ ـ رَحِمَكَ اللهُ ـ عَنِ الْإِيمَانِ؛ وَالْإِيمَانُ هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَعَقْدٌ فِي الْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ... ألخ)[24]، فالإيمانُ هو مجموعُ هذه العناصر.

وأمّا الكفرُ فقد يتحقّق بالجحود اعتقاداً أو الجحود لساناً أو عدم الإقرار بالأركان عملاً.

وكما أنّ للإيمان مراتب فإنّ للكفر مراتب أيضاً قد أُشير إليها في الرواية الشريفة الواردة عن الإمام الصادق (عليه السلام) كما الكافي: (عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو الزُّبَيْرِيِّ:

عَنْ أَبِي عَبْدِالله (عليه السلام) قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَخْبِرْنِي عَنْ وُجُوهِ الْكُفْرِ فِي كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ: الْكُفْرُ فِي كِتَابِ الله عَلى خَمْسَةِ أَوْجُهٍ: فَمِنْهَا كُفْرُ الْجُحُودِ - وَالْجُحُودُ عَلى وَجْهَيْنِ - وَالْكُفْرُ بِتَرْكِ مَا أَمَرَ اللهُ، وَكُفْرُ الْبَرَاءَةِ، وَكُفْرُ النِّعَمِ.

---

[23] معجم مقائيس اللغة، ابن فارس، ج5، ص191.

[24] الكافي، للشيخ الكليني، دار الحديث، ج3، كتاب الإيمان والكفر، الباب 16 بابٌ آخر منه وفيه أنّ الإسلام قبل الإيمان، ح1.

فَأَمَّا كُفْرُ الْجُحُودِ، فَهُوَ الْجُحُودُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ قَوْلُ مَنْ يَقُولُ: لَارَبَّ، وَلَاجَنَّةَ، وَلَانَارَ، وَهُوَ قَوْلُ صِنْفَيْنِ مِنَ الزَّنَادِقَةِ يُقَالُ لَهُمُ: الدَّهْرِيَّةُ، وَهُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: (وَما يُهْلِكُنا إِلاَّ الدَّهْرُ)[25] وَهُوَ دِينٌ وَضَعُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ بِالِاسْتِحْسَانِ مِنْهُمْ عَلى غَيْرِ تَثَبُّتٍ مِنْهُمْ وَلَاتَحْقِيقٍ لِشَيْءٍ مِمَّا يَقُولُونَ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (إِنْ هُمْ إِلاّ يَظُنُّونَ)[26] أَنَّ ذلِكَ كَما يَقُولُونَ، وَقَالَ: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ)[27] يَعْنِي بِتَوْحِيدِ الله تَعَالى، فَهذَا أَحَدُ وُجُوهِ الْكُفْرِ.

وَأَمَّا الْوَجْهُ الْآخَرُ مِنَ الْجُحُودِ عَلى مَعْرِفَةٍ، فَهُوَ أَنْ يَجْحَدَ الْجَاحِدُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ قَدِ اسْتَقَرَّ عِنْدَهُ، وَقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا)[28] وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَكانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكافِرِينَ)[29] فَهذَا تَفْسِيرُ وَجْهَيِ الْجُحُودِ.

وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ مِنَ الْكُفْرِ كُفْرُ النِّعَمِ، وَذلِكَ قَوْلُهُ تَعَالى يَحْكِي قَوْلَ سُلَيْمَانَ (عليه السلام): (هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)[30] وَقَالَ: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ)[31] وَقَالَ: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ)[32].

وَالْوَجْهُ الرَّابِعُ مِنَ الْكُفْرِ تَرْكُ مَا أَمَرَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بِهِ، وَهُوَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: (وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارى تُفادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَما

---

[25] سورة الجاثية، 24.

[26] سورة الجاثية، 24.

[27] سورة البقرة، 6.

[28] سورة النمل، 14.

[29] سورة البقرة، 89.

[30] سورة النمل، 40.

[31] سورة إبراهيم، 7.

[32] سورة البقرة، 152.

جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ)[33] فَكَفَّرَهُمْ بِتَرْكِ مَا أَمَرَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بِهِ، وَنَسَبَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ، وَلَمْ يَقْبَلْهُ مِنْهُمْ، وَلَمْ يَنْفَعْهُمْ عِنْدَهُ، فَقَالَ: (فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ إِلاّ خِزْيٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذابِ وَمَا اللهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ)[34].

وَالْوَجْهُ الْخَامِسُ مِنَ الْكُفْرِ كُفْرُ الْبَرَاءَةِ، وَذلِكَ قَوْلُهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَحْكِي قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام): (كَفَرْنا بِكُمْ وَبَدا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَالْبَغْضاءُ أَبَداً حَتّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ)[35] يَعْنِي تَبَرَّأْنَا مِنْكُمْ، وَقَالَ: يَذْكُرُ إِبْلِيسَ وَتَبْرِئَتَهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ مِنَ الْإِنْسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: (إِنِّي كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ)[36] وَقَالَ: (إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً)[37] يَعْنِي يَتَبَرَّأُ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ)[38].

المطلبُ الثالث: في وصف الكافرين في الآية المباركة.

قد ذكر القرآن للكافرين في الآية السادسة مِن سورة البقرة وصفين، وهما:

الوصفُ الأوّل: عدم جدوى الإنذار، وهو قوله تعالى: **{سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ}** وهو كنايةٌ عن عدم الجدوى، والسواء هنا بمعنى التساوي، كما في قوله تبارك وتعالى: **{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}**[39]، أي: هل يتساوون.

الوصفُ الثاني: عدم الإيمان، وهو قوله تعالى في ذيل آية البحث: **{لَا يُؤْمِنُونَ}**، وهو وصفٌ آخرٌ غير الوصف الأوّل، بمعنى: الإخبار منهُ تبارك وتعالى بأنّهم فقدوا قابلية الإيمان فلا يؤمنون.

والمرادُ مِن الكافرين – في مطلع الآية بقوله سبحانه وتعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا}** ثمّ أخبر عنهم بخبرين – **"بقرينة مناسبة المحمول للموضوع"** هم قِسمٌ مِن الكافرين؛ وهم مَن استولى عليهم الكفر بحيثُ فقدوا أصل الاستعداد لتلقي الإيمان وفقدوا القدرة على تقبل الإنذار.

---

[33] سورة البقرة، 84 – 85.

[34] سورة البقرة، 85.

[35] سورة الممتحنة، 4.

[36] سورة إبراهيم، 22.

[37] سورة العنكبوت، 25.

[38] الكافي، للشيخ الكليني، دار الحديث، ج4، كتاب الإيمان والكفر، الباب 166 باب وجوه الكفر، ح1.

[39] سورة الزمر، 9.

وقد أُفيد في مواهب الرحمن للسيد السبزواري (قدس سره الشريف) أنّ الآية مسوقة مساق القضية الشرطية.

قال (رحمه الله): **(والآية المباركة من قبيل القضايا الطبيعية الشاملة لكل كافر كذلك في أول الإسلام ومن يأتي بعده ويترتب على ذلك – قوله تعالى: (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) – ترتب الجزاء على الشرط الحاصل باختيارهم.**

(سواء) اسم بمعنى الإستواء. والإنذار هو الإخبار بالشيء ولا يكون إلّا مع تخويف بما يترتب على الإهمال بالشيء.

فيكون المعنى إنّ من كان الكفر عليه مستوليا ولم يكن من المستعدين لقبول الحق والهداية يستوي فيه الإنذار وعدمه فهم لا يؤمنون بعد دعوتهم للحق إذ وظيفة الداعي للحق هي الدعوة إليه، بلا فرق بين المستعد للإيمان وغير المستعد ، وهذا من الأمور الفطرية ، إذ كيف ينفع الدواء مع مزاولة المريض أسباب الداء، كما لا يفيد النور مع إغماض العين حتّى لا يراه، ولم يكن ذلك نقصا في الدواء ولا عيبا في النور)[40].

ولكن يلاحظ على ذلك:

أنّه لا ظهور في الآية الشريفة في كون معناها بنحو القضية الشرطية، وإنْ كانتْ صياغتها بشكل القضية الخبرية، فكأنّه قال: مَن استولى عليه الكفر فهو لا يؤمن، بل الآية بقرينة مقابلتها للآية السابقة في قوله تبارك وتعالى: **{الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}**[41] هي في مقام الإخبار؛ فكما أنّ المتقين قد أخبر عنهم تبارك وتعالى بأنّهم: **{يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}** أي: أنّ ذلك مقتضى إيمانهم بالغيب، فإنّ الكافرين مِن أوصافهم عدمُ جدوى الإنذار في حقهم **{سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ}** وأنّهم: **{لَا يُؤْمِنُونَ}**، لا أنّه في مقام الكناية عن قضيةٍ شرطيةٍ وهي: أنّ مَن استولى عليه

---

[40] مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبدالأعلى الموسوي السبزواري، مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام) ج1، ص81.

[41] سورة البقرة، 1 – 3.

الكفر فلن يكون مِن المؤمنين؛ بل يريد أنْ يقول مَن كان مِن الكافرين المعاندين فمِن أوصافهم هذا وهذا.

وكأنّ الآية المباركة تشتملُ على سؤالٍ مقدر، وهو: لماذا كان القرآن الكريم مصدر هدايةٍ لخصوص المتقين ولَمْ يكن مصدر هدايةٍ لعموم الناس؟ كما تشتمل على جواب عن السؤال، وهو: إنّما اختصتْ هداية القرآن الكريم بالمتقين لأنّ الكافرين لا يجدي في حقهم الإنذار ولا يؤمنون وهو مِن لوازم كفرهم، فلأجل ذلك فقدوا الأهلية والاستعداد لأنْ يكونوا موردَ الهداية القرآنية، لا أنّه في مقام بيان قضيةٍ شرطيةٍ كنّى عنها بهذه الجملة الخبرية.

المطلبُ الرابع: في كون الوصف في المقام على نحو القضية الخاصّة أم على نحو القضية العامّة.

وهنا اتجاهان:

الاتجاهُ الأوّل: أنّ الوصف على نحو القضية الخاصّة.

وهو ما جاء في كتاب الميزان، حيثُ إنّ سيد الميزان (قدس سره) لَمْ يستبعد أنّ المقصود بهذه الآية المباركة قسمٌ خاصّ وهم كفارُ قريش الذين ماتوا قبل غزوة بدر.

فقال السيد الطباطبائي (رحمه الله): **(قوله تعالى: إن الذين كفروا، هؤلاء قوم ثبتوا على الكفر وتمكن الجحود من قلوبهم، ويدل عليه وصف حالهم بمساواة الانذار وعدمه فيهم، ولا يبعد أن يكون المراد من هؤلاء الذين كفروا هم الكفار من صناديد قريش وكبراء مكة الذين عاندوا ولجوا في أمر الدين ولم يألوا جهدا في ذلك ولم يؤمنوا حتى أفناهم الله عن آخرهم في بدر وغيره، ويؤيده أن هذا التعبير وهو قوله: سواء عليهم، أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون، لا يمكن استطراده في حق جميع الكفار وإلا انسد باب الهداية والقرآن ينادي على خلافه، وأيضا هذا التعبير إنما وقع في سورة يس (وهي مكية) وفي هذه السورة (وهي سورة البقرة التي هي أول سورة نزلت في المدينة) نزلت ولم تقع غزوة بدر بعد، فالأشبه أن يكون المراد من الذين كفروا هنا وفي ساير الموارد من كلامه تعالى: كفار مكة في أول البعثة إلا أن تقوم قرينة على خلافه، نظير ما سيأتي من أن المراد من قوله تعالى: (الذين**

آمنوا) فيما أطلق في القرآن من غير قرينة هم السابقون الأولون من المسلمين، خصوا بهذا الخطاب تشريفا)[42].

وكأنّ مقصوده بقوله (قدس سره): (**والقرآن ينادي على خلافه**) الإشارة إلى قوله تبارك وتعالى: **{إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}**[43].

الاتجاهُ الثاني: وهو الصحيح: أنّ الوصف على نحو القضية العامّة.

إذ لا موجب لتخصيص المراد مِن الآية المباركة بكفار مكة وكبرائهم الذين أفناهم الله تعالى عن آخرهم قَبل غزوة بدر؛ بل إنّ مساق هذه الآية الشريفة مساق القضية العامّة، وهي: أنّ مِن لوازم الكفر ما دام ثابتاً في القلب العناد وعدم جدوى الإنذار وعدم الإذعان بتوحيد الله تبارك وتعالى.

وذلك لوجوهٍ:

الوجهُ الأوّل: أنّ ذلك مقتضى المقابلة مع المتقين؛ فإنّ هذه الآية المباركة ترشدُ إلى فئةٍ مقابلةٍ للفئة التي وَرَدَ ذِكرها في مطلع سورة البقرة وهُم المتقون، وكما أنّ المراد بالمتقين الوصف على نحو القضية العامّة، وكذا الوصفُ المقابلُ لهُ في هذه الآية المباركة.

الوجهُ الثاني: تكرارُ الوصف بعدم القابلية وفقدان الاستعداد في القرآن الكريم في غير سورة البقرة وسورة يس مما لا ربط له بالنزول قَبل غزوة بدر.

ومِن تلك الآيات القرآنية الظاهرة في ذلك:

1–قوله تبارك وتعالى: **{وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}**[44].

2–وقوله سبحانه وتعالى: **{كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ}**[45].

---

[42] الميزان في تفسير القُرآن، العلامة الطباطبائي، منشورات اسماعليان، ج1، 52.

[43] سورة الإسراء، 9.

[44] سورة الأنعام، 25.

[45] سورة المطففين، 14.

3–وقوله عزّ وجلّ: **{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}**[46].

4–وقوله تعالى ذكره: **{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}**[47].

الوجهُ الثالث: إنّ إخبار الله تبارك وتعالى عنهم بأنّهم: **{لَا يُؤْمِنُونَ}** لا ينافي وصف القرآن الكريم بأنّه كتابُ هداية كما في قوله سبحانه وتعالى: **{إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}**[48]؛ حيثُ إنّ الهداية متفرعةٌ على الاستعداد لها كما في قوله تعالى: **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}**[49]، وهو مما يشمل المؤمن والكافر الحكمي كالكفار القاصرين - مثلاً –، أو الذين هم في حال شك في معتقدات الكفر، بينما الكافر الحقيقي وهو مَن ستر الإيمان – بمواجهة نداء الفطرة الذي يدعوا للإيمان بالغيب، وتجميد العقل عن التفكير والاستنتاج – فهو خارجٌ موضوعاً عن قابلية تلقي الإنذار، وهذا لا ينافي ما ذكره الله جلّ ثناؤه في وصف القرآن الكريم بأنّه كتابُ هداية.

والحمد لله رب العالمين

---

[46] سورة الجاثية، 23.

[47] سورة الأعراف، 179.

[48] سورة الإسراء، 9.

[49] سورة العنكبوت، 69.